

# في ختام الشهر

وعلينا أن نختم أعمالنا كلها بالتوبة والاستغفار سواء في قيام هذه الليالي أو غيرها من سائر الأعمال بل نختم عملنا كله بما يدل على تعظيم الله تعالى وذكره والثناء عليه وقد أمر الله عباده بأن يختتموا شهرهم بالتكبير في قوله تعالى: { وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } . ولكن ما مناسبة ختم رمضان بالتكبير بعد إكمال العدة ؟ أقول: إن الإنسان إذا كبر الله استحضر عظمته وجلاله وكبريائه وقداسته فاحتقر نفسه واحتقر أعماله مهما عمل ولم يذكر شيئاً من أعماله ولم يفتخر بها وبمثل ذلك يكون محلاً للعفو ولقبول الحسنات فإذا عرفت بأن ربك أهل لأن يعبد وأهل للثناء والمجد وأهل لأن يحمد وأنك لو عبدت الله تعالى بكل ما تستطيعه لما أدت أقل القليل من حقه عليك، كما يقول بعضهم: سبحان من لو سجدنا بالعيون له على حمى الشوك والمحمي من الإبر لم نبلغ العشر من معشار منته ولا العشير ولا عشرا من العشير فنحن إذا أنهينا صيامنا وقيامنا نعرف أن ربنا هو الكبير الأكبر وأنه أهل لأن يكبر ويعظم وأنه أهل للعبادة ولذلك يروى أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة وقابلوا ربهم اعترفوا بالتقصير وقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك. أي مهما كانت عبادتك فإنك ستحتقرها ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: { لا يقول أحدكم إني صمت رمضان كله وقمته كله { أخرجه أبو داود برقم (2415)، والنسائي برقم (2108). من حديث أبي بكره رضي الله عنه. قال الراوي: فلا أدري أكره التزكية أو قال: لا يد من نومه أو رقدته؟ أو تقصيره وكلا الأمرين حق فإن الإنسان منهي أن يزكي نفسه قال تعالى: { فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ { وقال: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُرْكُونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرْكِي مَنْ يَشَاءُ } . فتزكية النفس: مدحها ورفع مقام الإنسان لنفسه والإعجاب وقد يكون الإعجاب سببا لإجباط العمل! فعليك أن تحتقر نفسك فإذا نظرت إلى الناس واحتقرت أعمالهم فارجع إلى نفسك واحتقرها ولمها حق اللوم وحق عملك حتى يحملك ذلك على الاستكثار ولا تعجب بأي عمل فعلته فلا تقل: أنا الذي صليت! أنا الذي قمت! أنا الذي تهجدت! أنا الذي قرأت .. إلخ فيكون إعجابك سببا لرد أعمالك!، فهذا ونحوه من الإرشادات التي ينبغي على المسلمين أن يعملوا بها وأن يهتدوا إليها وبحرصوا على استغلالها في مثل هذه الليالي المباركة.